دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	التاريخ الحولي: نشأتة ومراحل تطوره
المصدر:	مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية
الناشر:	جامعة نواكشوط - كلية الآداب والعلوم الإنسانية
المؤلف الرئيسي:	أبتة، أحمد عالى ولد أحمد
المجلد/العدد:	ع12
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2016
الصفحات:	22 - 33
رقم MD:	768474
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الكتابات التاريخية، التاريخ الحولى، الوثائق والمخطوطات
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/768474

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

التاريخ الحولي: نشأته ومراحل تطوره

أ. أحمد عالي ولد أحمد أبته

المدرسة العليا للتعليم، موريتانيا

المقدمة

لم يستطع كتاب التاريخ ولا الباحثون الإحاطة بمختلف الجوانب التي اعترت التاريخ وذلك لما تعرض له العالم من حروب وصراعات كانت الضحية فيها الوثيقة بشكل متعمد أو غير معتمد في حين استطاع بعض سكان المدن أن يحافظوا على كثير من التراث بمحض تمدنهم واستقرارهم، لهذا كان دور الباحثين والمهتمين بالتراث تتبع مظان وجود الوثائق والمخطوطات ومحاولة انتشالها بأقصى ما يمكن من السرعة، ولعل أهم هذه الوثائق هي تلك الحوليات التي دأب سكان حواضر الصحراء على تدوينها سنويا دون قصد مسبق ما يعطيها مصداقية كبيرة ويجعل ما تحمله من معلومات لا يحتمل الكذب إذ أنها لم تكتب لغرض بلاطي ولا لهدف رد على رسائل قادمة من جهة ما وإنما هي مجرد تآليف تاريخية تعتمد ضبط الوقائع ضاربة الصفح عن الخوض والغوص في تفسير هذه الوقائع، فما هو التاريخ الحولي؟ ومتى نشأ؟ وما هي مراحل تطوره؟ وهل استطاع أن ينجح في التأسيس لكتابة مرحلة تاريخية جديدة؟ وهل كان ابتكاره من لدن المسلمين العرب أم أنه اقتباس من الأمم الأخرى؟

ذلك ما سنحاول الإجابة عنه من خلال المحاور التالية:

المحور الأول: التاريخ الحولي:

1- تعريفه

يهتم التاريخ الحولي أو التاريخ المرتب على السنين، بمحض طبيعته، بالحقائق المجردة، التي كانت مدونة في المصادر المعاصرة، ويبتعد عن الأهواء الشخصية، فلا يُمكن لأي كتاب متأخر أن يغير، أو يُوسِّع، أو يحسن في هذه الحقائق[1].

وللتاريخ الحولي أو الحوليات تعريفات اختصرها أحد الباحثين، في ما يعتبره تحديدا مبسطا، بأنه يمكن "أن نعتبرها تلك التآليف التاريخية التي تعتمد تسجيل الوقائع والأحداث، مرتبة ترتيبا زمنيا دقيقا حسب السنوات، دون تقيد في أغلب الأحيان بالتفاصيل الجزئية لكل حدث أو واقعة، ومن هنا جاء مصطلح الحوليات"[2].

وقد اتخذت الحوليات أو التاريخ الحولي أو تاريخ السنين أشكالا متعددة، عبر مسيرة كتابة التاريخ الطويلة مما أدى إلى اختلاف المسميات تبعا لتعدد طرق التناول, على أنه يمكننا اعتبار تنوع المصطلحات من باب التطور التراكمي، في جانب من المنهجية الحدثية في كتابة التاريخ.

ويرى روزنثال أنَّ علمَ التاريخ الحولي يكون شَكلاً تخصّصِيًا من علم تاريخ السنين، وهو كما يدُلُّ اسمه يخضع لتعاقُبِ السنين المفردة، فكانت مُختلف الحوادث تجمع في كل سنة، وتربط في ما بينها

بعبارة "وفيها" أي: وفي السنة نفسها، فإذا انتهت حوادثُ السنة الواحدة، انتقل المؤرخ إلى حوادث السنة التالية عن طريق استخدام عبارة" ثم دخلت سنة كذا" أو "جاء في سنة كذا"[3].

وقد لاقت هذه المنهجية انتقادات متعددة ما جعل ابن الأثير يرتب الحوادث ترتيبا دقيقا بطريقة فريدة.

2- نشأته

على الرغم من أنَّ الكتابة التاريخية على السنين كانت معروفة في العراق في الربع الأخير من القرن الثاني الهجري، إلاَّ أنَّ الأدلةَ لا تستلزم الافتراض بأن الأصل الإسلامي لهذه الصورة قد نشأ في العراق في ذلك الوقت، وإنَّما يعني أنَّ أول الكتب المنشورة والمعروفة من ذلك النوع قد ظهرت في العراق ،كما أورد حسين نصار في كتابه نشأة التدوين التاريخي عند العرب.

ومن المعروف جيدًا أنَّه لم يصل إلى العرب قطُّ أي من الكتب الكلاسيكية في التاريخ الإغريقي. وكذلك ليست لدينا معلوماتٌ صريحة عن وجود تراجم عربية كاملة للحولِيَّات البيزنطية، رغم أن الامام الشافعي أفتى بعدم جواز حرق كتبهم قبل أن يعلم ما فيها[4].

وقد ذكر إيونيس ملالاس معلومات عن العُلماء والفلاسفة، وكبار رجال الكنيسة، وكان مُعظمُهم سياسيِّين في الوقت نفسه، كما ذكر معلومات عن الزلازل والرُّعود والفيضانات، إضافةً إلى الأوبئة والمجاعات والغلاء، وغيرها من نكبات الطبيعة التي كانت من خصائص التاريخ المرتب على السنين، والتي لَم تَغِبْ عن الحوليات الإسلامية التي ظهرت بعد ذلك.

ورغم سطحيّة الكتابات السريانية، فإن فيها كتبا تاريخية مرتبة على السنين، مثل كتاب "تاريخ الرها"[5].

كما أنَّ صورةَ الكتابة التاريخية عند إيونيس ملالاس تظهر أيضًا في الأدب السرياني مُمثَّلة في الكتب التاريخية ليعقوب الرهاوي، الذي عاش في القرن السابع الميلادي فقد واجه يعقوب مصاعب في تحديد زمن الحوادث التي نجمت عن وجود حقب مختلفة في أواخر العصور القديمة، وقد أدَّى هذا إلى ضرورة وجود جدول مُرتب على السنين، ومع أنَّه قد طمس نوعًا ما نظام الترتيب على السنين، إلا أنَّه بَقِيَ موجودًا بوضوح.

وقد اهتم يعقوب الرهاوي – كما فعل إيونيس ملالاس – بالحكام وكبار رجال الكنيسة والعلماء والأتقياء، وكذلك فقد اهتم بذكر حدوث الزَّلازل والبروق، وغزو الجراد، والحرائق والشهب، والأعمال العمرانية، وكل ذلك شهير في الكتابة الحولية.

وقد يحمل وجود التشابه بين الحوليات الإغريقية والسريانية المتقدمة، وبين الحوليات الإسلامية المتأخرة، على الاعتقاد بتراكمية في هذا المجال مردها وجود الاتصال بين الطرفين عن طريق الفتوحات الإسلامية.

ولعل من أمثلة ذلك المؤرخ أندرونيكوس وهو من رجال القرن السادس الميلادي، وقد نقل من تاريخه جبريل بن بختيشوع (ت 1006م) الذي كان بدوره مصدرًا لابن أبي أصيبعة، ومن الصعب تقرير ما إذا كان مصدر ابن بختيشوع قد بقي أم لا، ويحتمل أن يكون قد اقتبس من النصِّ السرياني أو

الإغريقي، فقد كان أندرونيكوس مَعروفًا في الأدب السرياني، ثم ظهر بعد ابن بختيشوع بأمد غير طويل كمصدر لتاريخ إلياس النصيبي(ت 1049م) ،وتحصر سيدة اسماعيل التأثير الأجنبي على بعض المؤرخين المسلمين في الفرس حين تقول:" والواقع أن التأثير الأجنبي الذي نلمسه عند بعض المؤرخين المسلمين القدماء إنَّما كان في كتب التاريخ الفارسية فيما يَختص بالتاريخ الإيراني القديم"[6].

وعندما يتحدث الباحث حسين نصار عن نشأة التدوين التاريخي وتطوره عند المسلمين، يقول: "إنَّ الكتابةَ التاريخية نشأت نشأةً عربية خالصة لا يَدَ للفرس فيها أو اليونان... وكان أوائل المؤرخين عَربًا، سواء كانوا من الجنوب أم من الشمال، ولكنَّ هذه الحركة العربية ما لبثت أنْ تأثَّرت بمؤثرات خارجِيَّة من أهل الكتاب والفرس، بل صار جميع المؤرخين من الموالي في أواخر القرن الثاني الهجري".

نفس الرأي يتبناه علي أدهم حيث يقول:" وتدلُّ أكثر القرائن على أنَّ التاريخ الإسلامي نشأ نشأة مستقلة، غير متأثرة بما كتبه أعلام المؤرخين اليونانيين أو الرومانيِّين"[7].

ويرى عبد الحميد العبادي أنَّ طريقةَ الترتيب على السنين قد انفرد بها المسلمون، حيث يقول: وهذه الطريقة هي طريقة الحوليات المعتمدة على توقيت الأحداث بالسنين والشهور والأيام، وهذا ضابط انفرد به مُؤرخو المسلمين عن نظرائهم من اليونان والرومان وأوروبا في العصور الوسطى يقول المؤرخ الإنجليزي بَكْل: إنَّ التوقيت على هذا النحو لم يعرف في أوروبا قبل عام 1597م"[8].

ويشك الباحث سعد بدير الحلواني في ما ذهب إليه روزنثال من أنَّ الكتابة الحولية قد انتقلت إلى العرب عن طريق السريان النصارى حيث يقول:" ونحن نشك في صحة هذا الحديث إذ كان العرب قد أقاموا التاريخ، واعتنوا به لحاجة دينيَّة وسياسية واجتماعية كذلك، ولم يكن هناك ما يضطرهم إلى الاقتباس من طرق أجنبية عنهم لأَنَّ نشأةَ التاريخ عند المسلمين نشأة مَحلية بَحتة".

ثم يذكر ما قاله هرنشو من أنَّ الحوليات كانت مجرد تقييدات للحوادث المعاصرة... وأنَّ كثيرًا من الحوادث الواردة في حوليات العصور الوسطى – ولا سيما أوائلُها – من أتفه ما يكون.

وإذا ضربنا الصَّفْحَ عن الكتابات التافِهَة التي وصفها هرنشو بهذا الوصف، فإنَّنا نستطيع أن نؤكد على انفراد العرب، وابتكارهم لهذه الطريقة[9].

ويذهب الباحث علي بكر حسن إلى أنَّ الطبري قد اتَّصل اتِّصالاً ما بالتآريخ الفارسية واليونانية والرومانية وتأثَّر بها، ولم يبتكر طريقةَ التاريخ على النظام الحولي إذ سبقه إليها غيرُه من المسلمين، كما أنَّ المسلمين لم يبتكروا بدورهم هذه الطريقة، وإنَّما اقتبسوها من مؤرخين فرس ورومان ويونان[10].

ويرى أن هناك أدلة مقنعة جدًّا لاستخدام الفرس الترتيب على السنين حسب سِني ملوكهم، ويستشهد بقول الطبري: "وأما الفرس فإنهم كانوا يؤرخون بملوكهم، وهم اليوم – فيما أعلم – يؤرخون بعهد يزدجرد بن شهريا"، ويرى أن الطبري أعلم من روزنثال بتاريخ الفرس؛ لأنَّه فارسي الأصل، ولذلك

فإن قوله" إنَّ الفرس كان ملكهم متصلاً دائمًا من عهد جيومرت... إلى أنْ زال عنهم بخير أمة أخرجت للناس" دليل على وجود حقب مستمرة[11].

ومن الذين يَميلون إلى القول بالتأثير الفارسي واليوناني على المؤرخين المسلمين، أحمد أمين، إذ يقول:" ولما نشطت حركةُ الترجمة في العصر العباسي، وكان كثيرون يتقنون الألسنة المختلفة مع العربية، فمِنهم من يُتقن الفارسية، ومنهم من يُتقن اليونانية، ومنهم من يتقن الهندية، وقعوا – فيما وقعوا عليه – على كتب في تاريخ الأمم المختلفة، فنقلوها إلى اللسان العربي، فكان من ذلك كله أنْ كان أمام من يتكلمون العربية مَصادر مُختلفة لأخبار الأمم المختلفة، كانت كلها معتمد الطبري في تاريخه، ومن أتى بعده من المؤرخين"[12].

ويتفق مع الرأي السابق رأيٌ آخر يقول أصحابه: "... ثم رجع المؤرخون إلى كتب تاريخية باللغة السريانية للوقوف على تاريخ اليونان وغيرهم... ثم بدأ أثر الثقافة الفارسية والإغريقية واضحًا في كتب التاريخ الجديدة، وكان من أوضح ما يكون فيما اقتبسه مؤرخ كأبي حنيفة الدينوري (ت 282هـ) في كتابه الأخبار الطوال واليعقوبي... والمسعودي"[13].

أما فيما يتعلق بالطبري، فإنه من المؤكد أنَّه أفاد كثيرًا من المادة التاريخية التي جَمعها مُؤرخو القرن الثاني، كما انتفع مما نقل إلى العربية من اللُّغات الأجنبية، تلك الحركة التي بدأت في مطلع القرن الثاني من أخبارٍ ستُشكل قسمًا من مادة كتابه في التاريخ[14].

من هنا يتضح أن المسلمين هم بناة المنهج العلمي لمباحث التاريخ وهو ما لم يعرفه مؤرخو الإغريق والرومان، ولم يعرفه مؤرخو أوروبا قبل عام 1597م[15].

ويقرر الباحث شاكر مصطفى – في أثناء الحديث عن المرحلة الثالثة من مراحل التدوين – أنَّ الهيثمَ بن عدي قام بوضع أول كتاب في التاريخ على أساسِ السنين، مُحققًا بذلك ثورةً في المنهج التاريخي على مطلع المائة الثالثة للهجرة[16]، وأن جميع الكتابات التاريخية التي ظهرت إنَّما وضعت على أساس إسلامي بَحْت، كما نظمت على أساسِ التقويم الهجري، الذي ظهر مُبكرًا ليُعين على تنظيمها، وهكذا لم يكن التاريخُ الإسلامي استمرارًا أو صلة للتواريخ القديمة وإنَّما هو تاريخ إسلامي خالص، وقد نَما النمو المستقل ضمن حدود التطوُّر الثقافي الإسلامي"[17].

ويذهب الباحث فتحي عبد الفتاح إلى أنَّ هناك مؤثراتٍ على التاريخ الحولي، هي الكتابات الإغريقيَّة، ولكن وجود التقويم الهجري كتقويم جديد جاء مع الإسلام كفيلٌ وكافٍ لتأريخ الأحداث التاريخية التي تَخصُّ المسلمين سنة بسنة، وهي بعينها الصورة الحولية في كتابة التاريخ[18].

بينما يقول الباحث عبد الرحمن حسين العزاوي: إنَّ التاريخ الحولي عربي النشأة، دون ذكر أدلة[19].

وإذا انتقلنا إلى المستشرقين رأينا مرجليوث يرى عكس ما رآه روزنثال إذ ينفي أن يكون المسلمون قد وقفوا على ترجماتٍ لتأريخ الإغريق، ويثبت احتمالَ إفادتهم من المؤرخين الفرس إذ يقول: ... يبدو أنَّه لا يوجد أثر لأي ترجمة من مؤرخ إغريقي إلى اللغة العربية، ولم يفهم المفهرسون العرب تلك

التواريخ التي تُعَدُّ نَماذج الكتابة التاريخية، بل يبدو أنهم أهملوا أيضًا المؤرخين السريانيين، الذين كانت آثارهم تثير اهتمامَ أولئك المشتغلين بالدراسات القديمة، وربَّما أفادوا من المؤرخين الفرس".

أمَّا ما كان من ابتكار المؤرخين المسلمين – من وجهة نظره – فهو التأريخ بهجرة النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – الذي كان من ابتكار الخليفة الثاني، وكذلك تسجيل الأحداث بالسنة والشهر بل باليوم، ولكنه يعود ليقرر أن تسجيل الأحداث بهذه الكيفية وجد مدونًا في أحد التواريخ الجاهلية.

وفي ما يتعلق بالطبري، يقول مرجليوث: ونجده – أي: التأريخ على السنين – متطورًا عند الطبري من بين المؤرخين العرب"[20].

أما أوليري فكان أكثر المستشرقين وضوحًا في نظرته إلى هذه القضية حيث يُلخِّصُها في كلماتٍ قلائل بقوله:" وفكرةُ الكتابة على المنهج الحولي انتقلت على هذا النَّحو إلى مُؤرخي العرب الأُول عن طريق اتصالهم بأولي العلم من السريان والمسيحيين أولاً، ثم عن طريق رجوعهم إلى المصادر الإغريقية الأصلية"[21].

ومن هنا فإن أوليري يتفق مع روزنثال حيث يقول:" فكرة الترتيب على السنين جاءت إلى العلماء المسلمين الأُوَل عن طريق الاتِّصال بالنصارى المتعلمين"[22].

وإذا كان روزنثال قد رفض التأثير من جانب الفرس، وقال: إنَّ التأثير كله إنَّما يعود إلى الاتِّصال بالنصارى المتعلمين الذين كانوا نقلةً للتَّواريخ اليونانية، فإنَّ اثنين من المستشرقين ذهبا عكس ذلك تمامًا، وهما بروكلمان وجولد زيهر يقول الأول: ونحن لا نزال نعتقد – مع جولد زيهر – أنَّ ظهورَ علم التاريخ عند العرب على هذا النحو يرجع إلى اعتمادِهم على نَماذج الفرس ومذاهبهم في تأليف الكتب من ملوك العجم، ولا سيما كتاب خوذاي نامكك عن ملوك بني ساسان"[23].

أمَّا جان سوفاجيه وكلودكاين، فيقولان:" كانت المؤلفات في أول أمرها تكتفي بتسجيل الأخبار، ثم بدأت تجنح شيئا فشيئا إلى الترتيب الزمني على السنين، بطريقة الحوليات الأوروبية نفسها. وإذا لم يكن هناك بُدٌّ من البحث عن نموذج أسبق لمثل هذا الترتيب، فسنجده في التاريخ اليوناني المسيحي وتنقيحاته السريانية"[24].

و مهما يكن من أمر فإنَّ أولَ مؤلف مسلم دوَّن التاريخ على ترتيب السنين، وبَقِيَ لنا كتابه هو الطبري ، وقد وصل بتاريخه إلى سنة 302 أو 303هـ[25].

ومن هؤلاء الذين استعملوا المنهج الحولي قبل الطبري: أبو عيسى بن المنجِّم، فقد كتب قبل الطبري بعدة عقود تاريخ سني العالم، وربَّما كان هذا بحثًا مرتبًا على السنين، يبدأ منذ خليقة العالَم على النمط اليهودي المسيحي، وربَّما لم يتطرق إلى تاريخ الإسلام قط[26]. كما أنَّ عمارة بن وثيمة ألَّف تاريخًا على السنين في القرن التاسع الميلادي[27]، وكذلك كتاب محمد بن يزداد عن التاريخ، فلعله كان مُرتبًا على السنين لأَنَّ ابن النديم يقول: إن عبدالله ابن المؤلف تَمَّم كتابَ التاريخ الذي عمله أبوه إلى سنة

ثلاثمائة من الهجرة[28]، وهذه الجملة التي قالها ابن النديم تُشير إلى أنَّ كتاب محمد بن يزداد كان مرتبًا على السنين.

كما أنَّ المقتطفات من تاريخ محمد بن موسى الخوارزمي – العالم العظيم الذي عاش في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي والتي توجد في تاريخ حمزة الأصفهاني، وفي تاريخ إلياس النصيبي – يرجِّح أن يكونَ كتاب الخوارزمي مرتبًا على السنين[29].

ومما يدل على أنَّ الطبري لم يكن أول من استخدم الحوليات أن الهيثم بن عدي – المتوفى سنة 206 أو 207هـ ألَّف كتابًا في التاريخ على المنهج الحولي بعنوان: كتاب التاريخ على السنين، وهو أمر يشير إلى أن الكتابة التاريخية على المنهج الحولي كانت معروفة في العراق في أواخر القرن الثاني الهجري.

المحور الثاني: مراحل تطور التاريخ الحولي

1- مرحلة العصر الوسيط

اعتُبرت الكتب المرتبة على السنين المؤلفة في العصر الوسيط استمرارًا للكتب المرتبة على السنين التي ألفها المؤرخون الأوَّلون ولذلك وجد ابن القفطي أنَّه من السهل على الباحث أن يَحصل على أوثق الأخبار التاريخية من بَدْء الخليقة إلى السنة التي هو فيها أي: إلى سنة 616هـ.

فقد اتبع الطبري هذا المنهجَ في تدوين تاريخ العالم منذ البَدْء حتى سنة (309)هـ، وكذلك كتاب ثابت الذي يداخل الطبري في بعض السنين، ويصل إلى سنة (363هـ)، ثم كتاب هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابي، الذي يتَّفق وكتاب خاله" ثابت" ويُتمِّمه إلى سنة (447هـ)، ثم يتلوه كتابُ ولده غرس النعمة محمد بن هلال، وهو كتاب حسن إلى ما بعد سنة (470هـ) بقليل، ثم اتَّفق عمل الهمداني، وعمل غرس النعمة، فأتمه الهمداني إلى سنة (512هـ)، ثم كمل عليه الراغوني فأتى بما لا يشفي الغليل إذ لم يكن ذلك من صناعته، فأوصله إلى سنة (527هـ)، ثم كمَّل عليه العفيف كتاب صدقة الحداد إلى سنة 570هـ ونيف، ثم كمَّل ابن الجوزي كتاب "صدقة" إلى سنة (580هـ)، ثم كمَّل عليه ابن القادس إلى سنة 616هـ[30].

وبذلك يكون القفطي قدَّم صورة دقيقة للوضع السائد، فقد كانت الكتب التي نهجت المنهج الحولي في تدوين التاريخ تؤلف تكملة واستمرارًا لسابقاتها.

ولم تكن هناك حاجة كبيرة لأَنْ يُكتب كتابان مرتبان على السنين في وقتٍ واحد ومنطقة واحدة.

وكان القسم المهم في التاريخ المكتوب على السنين هو القسم المعاصر للمؤرخ، الذي قد يكون مفصلاً جدًّا.

ولقد صار العرضُ التاريخي – وخاصَّة في تواريخ القرنين الرابع عشر والخامس عشر – يُجَزَّأ إلى الأشهر والأيام بانتظام كبير، غَيْرَ أنَّ كُتَّابَ الحوليات الأوائل لم يكونوا متمكنين دائمًا من هذه الطريقة[31].

- الترتيب على العقود

كثيرًا ما شعر الأفراد في العصور المتأخرة للحاجةِ إلى ترتيب إضافي لجمع المادة المتزايدة باستمرار في وحدات زمنِيَّة أوسع، وقد أدخل الذهبي في كتابه تاريخ الاسلام تقسيمًا فرعيًّا تبعًا للعقود من السنة الأولى إلى السنة العاشرة الهجرية، وهكذا، وقد طبق هذا التقسيم في كل أجزاء الكتاب.

غير أنَّ أصولَ هذا التقسيم لم تُستمد من التاريخ الحولي، بل من تاريخ السير المتأثرة بالمثيولوجيا[32].

وكان ابن الجوزي قد كتب كتابًا عن عصور الرجال المعروفين، رتب فيه من تُوفُّوا في العقد الثاني أو الثالث... إلخ من حياتهم، وجعلهم على هيئة مَجموعات، ودرس كل مجموعة على انفراد.

إنَّ ما يدين به الذهبي للتراجم لا يتجلى فقط في المكانة الخاصة لتراجم الوفيَات في داخل ترتيب العقود، بل يتجلى أكثر في استعماله لكلمة طبقة، وبذلك يربط تقسيم الطبقات على العقود بأدب الطبقات[33].

- التقسيم على القرون

ترجع أصول هذا التقسيم أيضًا إلى كتب التراجم، وهي مرتبة عادة على الحروف الأبجدية، ومرتبة أيضًا على السنين، كما نَجدها عند ابن العيدروس، ومن النادر جدًّا أن نعتبر القرن عنصرًا مَفروضًا على التقسيم الزَّمني في أيِّ تاريخ مرتب على السنين لا يقتصر على التراجم، ومن هذه الأحوال النادرة كتاب" زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة" لبيبرس المنصوري[34].

ومما يؤكد أنَّ أصلَها مُستمد من كتب التراجم استعمالُها أحياناً كلمة قرن في عنوانها، والقرن ليس وحدة عددية مُطلقة مثل مائة، بل كان دائمًا مرتبطًا بطول عمر الأفراد والجماعات، بل حتى في حِقْبة متأخرة كالقرن الخامس عشر، ونجد مؤلفًا كالمقريزي يحذف القرن من مُختلف تقديرات الزمن[35].

2- مرحلة العصر الحديث

على الرغم من أن مدرسة الحوليات[36] التي كانت ردة فعل على المدرسة الوثائقية[37] ليس لها من حظ في الحوليات بالمفهوم الذي نعنيه غير الاسم، إلا أن قطبيها المؤسسين الثنائي لوسيان و مارك بلوك نظرا إلى الكتابة التاريخية على أنها طرح للمشكلات الكبرى للإنسان في سياق الزمن التاريخي الطويل، وذلك بغية إخراج الكتابة التاريخية من نمطية الحدث السياسي والوقائع الضيقة، حيث لم يهتم المؤرخون سوى بكل ما له ارتباط بالأحداث العسكرية من حروب ومعارك وتواريخ قيام الدول وسقوطها، بحسب فرانسوا دوس في كتابه التاريخ المفتت.

وهذا في حد ذاته، وإن كان ثورة على المنهج الوضعي الذي تبنته المدرسة الوثائقية، فإنه أيضا بشكل عام يعد أيضا ثورة على الكتابة التاريخية بالصفة الحولية، التي هي جزء من الكتابة التاريخية بشكل عام.

لقد ثارت مدرسة الحوليات على الكتابة التاريخية التقليدية وأخذت الكتابة التاريخية أبعادا جديدة سوسيولوجية ولسانية وجغرافية وديموغرافية، وتحول التاريخ الى دراسة كل ما له علاقة بالانسان، و

اهتم المؤرخ بالمدد الزمنية الطويلة، بعدما كان أسير زمن الحدث التاريخي القصير. كما أورد عبد الله العروي في كتابه مفهوم التاريخ.

و في هذا السياق برز نجم المؤرخ الفرنسي فرديناند بروديل، الذي اعتبره الكثير من المؤرخين المعاصرين رائد الكتابة التاريخية في العصر الحديث، فهو- بشهادة هؤلاء- واضع الدعائم الرئيسية لما اصبح يعرف بالتاريخ الجديد، والذي اصبح من اهم سماته انتقاء الحدود بين التاريخ والسوسيولوجيا والانتروبولوجيا.

ولقد مثلت اطروحته الشهيرة، التي درس فيها تاريخ العالم المتوسطي، هذا التوجه، وهي التي دعا فيها الى تجاوز ونبذ التاريخ (السردي_الاخباري) القائم على دراسة الوقائع السياسية البسيطة في الازمنة القصيرة، و الانتقال الى دراسة تاريخ البنى الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية، و ذلك في سياق المدد الزمنية الطويلة، بهدف رصد مدى تفاعل الانسان مع مجاله الجغرافي[38].

ميز فرناند بروديل في دراسته للزمن التاريخي بين ثلاث مستويات

- الزمن الجغرافي: هو زمن المدد الطويلة وزمن البنايات يتميز بتغييره البطي
- الزمن الاجتماعي: وهو زمن الظرفيات وزمن المدد المتوسطة مثل تاريخ تطور الاقتصاد والمجتمع
- الزمن الفردي و يطابق زمن الوقائع و الاحداث السياسية كالحروب والمعاهدات و حكم الملوك.

ورغم أن مؤرخي مدرسة الحوليات أحدثوا قطيعة ابستمولوجية مع الاتحاد السابق في الكتابة التاريخية، وعملوا على تجاوز التاريخ الحدثي، ودعوا الى تاريخ اشكالي يقر بأهمية العوامل التركيبية في دراسة التاريخ، فإن أحد أقطاب مدرسة الحوليات يعترف بوجود مكون تاريخي مهم، قد يكون مما يعني مجال بحثنا هنا.

فقد وضع برودويل ثلاث مكونات متدرجة من مستوى زمن الطبيعة إلى مستوى الزمن الاجتماعي فالزمن الفردي، وهذه الأزمنة متداخلة ومتكاملة لا تفهم إلا في إطار الشمولية التاريخية.

وما يعنينا منها ها هنا هو المستوى الثالث المتعلق بالتاريخ التقليدي، وهو تاريخ ذو بعد فردي وليس ذا بعد إنساني، إنه تاريخ التغيرات الوجيزة والسريعة.

يرى بروديل أنه من الواجب التعامل بحذر شديد مع هذه الأحداث والحوادث الجارية في زمنها القصير، لأن هذا المستوى من الزمن" يعد أكثر الآماد تقلبا وخداعا".

والملاحظ أن بروديل، وهو يناقش مفهوم الزمن القصير، عمل على رفع اللبس الذي قد يحصل في الخلط بين التاريخ الحدثي والتاريخ السياسي، فهذا الأخير ليس بالضرورة حدثيا.

"إن المشكل- يقول نفس المؤرخ(بروديل)- يتمثل في كون التاريخ خلال 100 سنة الأخيرة، وهو يغلب عليه الطابع السياسي، ركز على مأساة الأحداث الجسام وعمل ضمن وحول الزمن القصير".

إن التاريخ السياسي باستطاعته الاهتمام بقضايا أكثر عمقا من التاريخ الحدثي، فبدل التركيز على الأشخاص وتسلسل الأحداث يمكن الدخول في مجالات رحبة لدراسة الميكانزمات الاجتماعية، للسلطة

والعلاقات بين الدولة والمجتمع، إنه ينجز اليوم عبر قنوات متعددة.كما ذكر محمد احبيدة في العدد الثالث من مجلة أمل الصادرة سنة 1993.

إن الفصل الثالث من كتاب "البحر المتوسط"...الذي يحمل عنوان "الأحداث السياسية و الأفراد"، يجمع في طياته بين تحليل المؤسسات السياسية والتنظيمات العسكرية البرية والبحرية للقوتين الإسبانية و التركية، وعرض الأحداث الكبرى الناتجة عن صراع هاتين القوتين داخل المتوسط في النصف الثاني من القرن 16م، أي على عهد فيليب الثاني، ملك إسبانيا.

وهو بذلك يعتبر مساهمة حية في التاريخ السياسي والدبلوماسي والعسكري، وتنازلا كبيرا من قبل بروديل للتاريخ التقليدي وللمدرسة"الوضعية" أو "المنهجية"، التي كانت لا تزال في الأربعينات تحافظ على مواقع مهمة في المؤسسات الجامعية، ولا غرو، فبرودويل يعترف بأنه كان مؤرخا للحدث السياسي، للشخصيات الجسام.

لكن، وهو يمنح هذا التنازل، يجعل التاريخ التقليدي في المرتبة الثالثة والأخيرة ليترك المكان الرئيسي للقضايا و المشاكل.

لقد نجحت مدرسة "الحوليات" لأنها جاءت بنظرة جديدة و مجددة للتاريخ، وطرحت أسئلة جديدة لدراسة و كتابة التاريخ، لذلك نجحت و انتشرت، و صمدت بين المدارس التاريخية الأخرى.

ويعود ذلك لأسباب منها: تجنبها التطويل و الحشو الزائد في الكتابات التاريخية في أوائل القرن 20م، و التي كانت تركز على الأحداث السياسية والمناورات الدبلوماسية، من جهة أخرى حمل موقف الحوليات شعبية معينة: القول بإعطاء حق المواطنة للمستضعفين، الفلاح و الجنرال: كلاهما فاعل تاريخي يتساوى في الأهمية، و بالتالي التأسيس لبوادر كتابة تاريخية حديثة بدأت تجد تجسيدها وانطلاقتها من اسم "التاريخ الجديد"...كما يذكر بوردي في كتابه (مدرسة الحوليات).

وهكذا فإن الاتجاه الحديث، ومن قبله مدرسة الحوليات، نسفا تماما ما كان يعرف بالكتابة التاريخية الوضعية، سواء أكانت حولية أو غير حولية، وانبثق تصور جديد يخالف التصور القديم في جميع المستويات، وهكذا تم:

- تحويل اهتمام المؤرخين من الخاص إلى العام و من الفرد إلى المجتمع.
- تحويل الاهتمام من الأحداث إلى الثوابت.
- التخلي عن أسلوب الرواية و تبني أسلوب التحليل.
- تعويض لغة العموم بلغة العلوم، وهي لغة مشتركة بين العلوم الاجتماعية.

الخاتمة

لئن كان كثير من المؤرخين لم يولوا كبير أهمية للتاريخ الحولي ولم يحاولوا تتبع مجريات الأحداث التي حملها هذا النوع المتميز من التاريخ بالصدقية في النقل والرواية فإنه يبقى المخزون الأهم والمعين الذي لا ينبض في الماضي والمستقبل والرصيد الأوفر، ويعد إنقاذ هذا الجانب المهم من

التاريخ في هذا الشأن لبنة جديدة يضيفها المختصون والمهتمون من الباحثين ،المجددين الذين كل همهم يتجسد في نفض الغبار عن التاريخ بصفة عامة وتاريخ مناطقهم بصفة خاصة ذلك ما لم يكن متاحا تماما إلا إذا تضافرت وتكاتفت جهود النخب العلمية وهبوا جميعا كل من موقعه رغبتهم ودافعهم بالدرجة الاولى هو الحصول على الحقيقة كيف وأين كانت ،الشيء الذي يتطلب التنصل والبعد من ثوب الروتين الذي أصبح العالم بأسره يمقته.

الهوامش:

[1] سيدة إسماعيل كاشف، "مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه"، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1421هـ 2001م ص55.

[2] سيد أحمد ولد أحمد سالم، تاريخ ابن طوير الجنة، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، 1995م، ص10.

[3] روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت 1983م، ص.110

[4] ابن المنذر، الأوسط، تحقيق صغير أحمد محمد حنيف، مكتبة دار طيبة – الرياض ، الطبعة الأولى،1405 – 1985م، ج 10، ص 85.

5 – الرها وهو مؤلف في القرن 6 الميلادي كان قد رتب على السنين وأهتم بذكر تاريخ الحكام وكبار رجال الكنيسة الى غير ذلك.

[6] سيدة إسماعيل كاشف، "مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه"، المرجع السابق، ص55.

[7] علي أدهم، "بعض مؤرخي الإسلام"، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر, 1974، الطبعة الأولى، ص32.

[8] هرنشو، "علم التاريخ عند المسلمين"، ترجمة عبد الحميد العبادي ، ط2 ، مطبعة التأليف والترجمة ، مصر 1944 ص66–67، وانظر أحمد الحوفي، "الطبري"، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، (د. ت)، ص 196.

[9] سعد بدير الحلواني، "مدخل إلى علم التاريخ ومناهج البحث فيه"، المرجع السابق، ص115.

[10] علي بكر حسن، "الطبري ومنهجه في التاريخ"، دار غريب، القاهرة، (2004)، ص130.

[11] علي بكر حسن، "الطبري ومنهجه في التاريخ"، المرجع السابق، ص93.

[12] أحمد أمين، "ضحى الإسلام"، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (1353هـ – 1935م)ج2 ، ص351.

[13] نور الدين حاطوم، وآخرون، "المدخل إلى التاريخ"، المطبعة العصرية، القاهرة، (1383هـ – 1964م)، ص264–265.

[14] نور الدين حاطوم، وآخرون، "المدخل إلى علم التاريخ"، المرجع السابق، ص271.

[15] عبد العليم عبدالرحمن خضر، "المسلمون وكتابة التاريخ"، المعهد العالمي للفكر الإسلامي, 1995 ، ص206.

[16] شاكر مصطفى، "التاريخ العربي والمؤرخون"، ط1، دار العلم للملايين، بيروت 1979، ج2، ص100.

[17] شاكر مصطفى، "التاريخ العربي والمؤرخون"، المرجع السابق، ج2، ص85.

[18] فتحي عبد الفتاح أبو سيف، "علم التاريخ ومنهج البحث فيه"، مطبعة علاء الدين، القاهرة، ص19.

[19] عبد الرحمن حسين العزاوي، "المنهج التاريخي عند المؤرخين العراقيين"، دار العلوم، قسم التاريخ الإسلامي (1979)ص197.

[20] أحمد أمين، "ضحى الإسلام"، المرجع السابق، ج2 ، ص360–361.

[21] أوليري، "مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب"، ترجمة تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (1975م)، ص3

[22] روزنثال، "علم التاريخ عند المسلمين"، المرجع السابق، ص110.

[23] كارل بروكلمان: "تاريخ الأدب العربي"، ترجمة: عبدالحليم النجار، دار المعارف، مصر، ط3، 1974م، ج3 ص8.

[24] جان سوفاجيه كلودكاين، "مصادر دراسة التاريخ الإسلامي"، ترجمة: عبد الستار الحلوجي، وعبد الوهاب علّوب، المجلس الأعلى للثقافة، (1998م)، ص57.

[25] القنوجي، صديق بن حسن، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م، ج1، ص370.

[26] ابن النديم البغدادي أبو الفرج الورّاق، محمد بن أبي يعقوب إسحاق، الفهرست، تحقيق جوستاف فلوجل، ليبزيك، 1871م /ج1 ص161.

[27] إسماعيل باشا البابانى، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مجلدان ، إسطنبول 1955/1951م/ ج1، ص 413 وانظر أيضا، حاجي خليفة كاتب چلبي، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مجلدان، إسطنبول 1360هـ/1941م ج1، ص280.

[28] ابن النديم، الفهرست، المرجع السابق، ج1، ص138.

[29] إسماعيل باشا البابانى، هدية العارفين، المرجع السابق، ج1 ص448.

[30] حاجي خليفة كاتب چلبي، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، المرجع السابق، ج1 ص299/290.

[31] علي أدهم، "بعض مؤرخي الإسلام"، المرجع السابق، ص 32.

[32] أوليري، "مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب" ، المرجع السابق، ص3.

[33] سعد بدير الحلواني، "مدخل إلى علم التاريخ"، المرجع السابق، ص115.

[34] حاجي خليفة كاتب چلبي، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المرجع السابق، ج2 ص 952 و1843.

[35] شاكر مصطفى، "التاريخ العربي والمؤرخون"، المرجع السابق، ج2 ص100.

[36] مدرسة حديثة لدراسة التاريخ أسسها في الثلث الأول من القرن العشرين جيل جديد من المؤرخين الشباب في فرنسا على وجه الخصوص امثال لوسيان فيفر ومارك بلوك اللذان بعثا روحا جديدة في الدراسات التاريخية حيث استغلا مجلة التركيب لتوجيه انتقادات شديدة للوضعيين الذين ركزوا في كتابة التاريخ على الوثيقة التاريخية بمفهومها الضيق و ناديا بضرورة انفتاح الدراسات التاريخية على العلوم الاخرى و في هذا الصدد يقول المؤرخ الفرنسي لوسيان فيفر انه سيساهم في كتابة التاريخ اللغوي و الأدبي و الجغرافي و القانوني والطبي وعلم الأجناس وخبير المنطق الى غير ذلك من العلوم.

[37] المدرسة الوثائقية: تأثر روادها بالفلسفة الوضعية التي سادت أوروبا خلال ق19 م فقد دعا رواد هذه المدرسة الى ضرورة اعتماد الوثيقة في كتابة التاريخ فالتاريخ يصنع بالوثائق و لا تاريخ بدون وثيقة كما يقول مؤرخا هذه المرحلة لانجلو و سينبوس.

[38] عشاق مولود " ملاحظات حول مدرسة الحوليات " العلم الثقافي، العدد 803 / 1992.

قائمة المراجع

1. أحمد أمين، "ضحى الإسلام"، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (1353هـ – 1935م)ج2
2. أوليري، "مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب"، ترجمة تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (1975م)
3. ابن النديم البغدادي أبو الفرج الورّاق، محمد بن أبي يعقوب إسحاق، الفهرست، تحقيق جوستاف فلوجل، ليبزيك، 1871م
4. إسماعيل باشا الباباني، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مجلدان ، إسطنبول 1955/1951م/ وانظر أيضا، حاجي خليفة كاتب چلبي، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مجلدان، إسطنبول 1360هـ/1941م
5. ابن المنذر، الأوسط، تحقيق صغير أحمد محمد حنيف، مكتبة دار طيبة – الرياض ، الطبعة الأولى،1405 – 1985م
6. المدرسة الوثائقية: تاثر روادها بالفلسفة الوضعية التي سادت أوروبا خلال ق19 م فقد دعا رواد هذه المدرسة الى ضرورة اعتماد الوثيقة في كتابة التاريخ فالتاريخ يصنع بالوثائق و لا تاريخ بدون وثيقة كما يقول مؤرخا هذه المرحلة لانجلو و سينبوس.
7. القنوجي صديق بن حسن، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م
8. جان سوفاجيه كلودكاين، "مصادر دراسة التاريخ الإسلامي"، ترجمة: عبدالستار الحلوجي، وعبدالوهاب علّوب، المجلس الأعلى للثقافة، (1998م)
9. حاجي خليفة كاتب چلبي، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ،
10. روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت 1983م
11. سيد أحمد ولد أحمد سالم، تاريخ ابن طوير الجنة، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، 1995م
12. سيدة إسماعيل كاشف، "مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه"، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1421هـ 2001م
13. سعد بدير الحلواني، "مدخل إلى علم التاريخ ومناهج البحث فيه.
14. شاكر مصطفى، "التاريخ العربي والمؤرخون"، ط1، دار العلم للملايين ، بيروت 1979
15. عبدالعليم عبدالرحمن خضر، "المسلمون وكتابة التاريخ"، المعهد العالمي للفكر الإسلامي, 1995 ج2
16. عبدالرحمن حسين العزاوي، "المنهج التاريخي عند المؤرخين العراقيين"، دار العلوم، قسم التاريخ الإسلامي (1979)
17. علي أدهم، "بعض مؤرخي الإسلام"، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر , 1974. الطبعة
18. علي بكر حسن، "الطبري ومنهجه في التاريخ"، دار غريب، القاهرة، (2004)
19. عشاق مولود، " ملاحظات حول مدرسة الحوليات " العلم الثقافي العدد 803 / 1992
20. فتحي عبد الفتاح أبو سيف، "علم التاريخ ومنهج البحث فيه"، مطبعة علاء الدين، القاهرة
21. كارل بروكلمان، "تاريخ الأدب العربي"، ترجمة: عبدالحليم النجار، دار المعارف، مصر، ط3، 1974م
22. نور الدين حاطوم، وآخرون، "المدخل إلى التاريخ"، المطبعة العصرية، القاهرة، (1383هـ – 1964م)

هرنشو، "علم التاريخ عند المسلمين"، ترجمة عبد الحميد العبادي ، ط2 ، مطبعة التأليف والترجمة ، مصر 1944

وانظر أحمد الحوفي، "الطبري"، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، (د. ت) " .